من غير فرق بينهما • ولهذا عطف قوله ثم يعيده ناسقا في حيز
المحسوسات وان لم يروها لوضوحه • ونظيره قوله تعالى اولم ير
الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا
من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون فانهم متى راوهما رتقا حتى جاز
ان يقال لهم اولم ير الذين كفروا معناه ان هذا المدعى لما كان من قبيل
المحسوسات عند اصحاب العقول الذي يستوي فيه المومن والكافر
والذي رآه والذي لم يره بني الكلام على الرؤية وعطف عليه قوله
وجعلنا من الماء كل شيء حي واتى بالاستفهام الانكاري في قوله
افلا يؤمنون استبعادا لعدم ايمانهم • بيانه ان الاجرام كلها بطبعها
الميل الى المركز وانطباق بعضها على بعض وكلما كان اعظم كان ميله
اقوى واشد ولا شك ان السموات اعظم الاجرام فيقتضي طبعه الميل
الى الارض والالتصاق بها وهذا واضح لا يشك فيه العاقل فحينئذ
كان اللازم ان ينسد امر الحيوة وما رتبه الله على الفتق من الحكم
فلابد من قاسر يرفعها عن ذلك الميل ولا يقدر احد من المخلوقات
على رفع السماء من الارض سوى الله تعالى الذي شق بينهما هذا
الفضاء العظيم الذي به يتم امر ظهور المخلوقات وانتعاش الحيوانات
من التنفس والاكل والشرب ورعي الانعام وغيرها مما اظهره الله
تعالى بقدرته بين السماء والارض فاذا شاهدوا كون السموات مرفوعة
مرتفعة هذا الارتفاع الذي ليس هو من مقدورات المخلوق كما قال
ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسويها واغطش ليلها
واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحيها اخرج منها ماءها ومرعاها

والجبال

والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم صح ان يقال اولم ير الذين
كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم شرع في بيان
تعلق قدرته بما بينهما من الاحياء الذي هو اعظم الايات في المقدورات
واشرف النعم في الموجودات فقال وجعلنا من الماء كل شيء حي في مقام
بيان الحكمة في رفع السموات داخلا في حيز المحسوسات بل في سلك اتم البراهين
من الوجدانيات مع الامتنان عليهم وحينئذ كان الواجب على العاقل
ابعد قيام هذه البراهين القاطعة ان يؤمنوا بوجود صانع عليم
حكيم قدير متقن متفرد في صنعه وحكمته وهم قابلوه بالكفر صح ان
يقال افلا يؤمنون على طريقة الاستفهام الانكاري المفيد للتعجب
ففي الاية اثبات النشأة الاخروية بالقياس الى النشأة الدنيوية
على طريقة البرهان الوجداني الحدسي **ومن الايات الدالة على
الحشر الجسماني بالطريق البرهاني** قوله تعالى يا ايها الناس
ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم
من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم • وسر البيان
وبيان البرهان انه سبحانه وتعالى اراد بذلك اظهار تعلق قدرته
وارادته حين كان الانسان في بطن امه ردا لقول القائلين
بالتكون اذ لو كان تكونا لما اختلفت اطوار خلق الجنين بكون
بعضه تام الخلقة وبعضها ناقص الخلقة كما هو مشاهد في السقط
ولذلك قال نحن خلقناكم فلولا تصدقون وقال تعالى هو الذي
يصوركم في الارحام كيف يشاء وقال تعالى يخلقكم في بطون
امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم فانى

Copyright © King Saud University